خطبة صلاة الجمعة 9/ 8/ 2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

# (واجبات الزوجين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿واللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وحَفَدَةً ورَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: 72].

وقال سبحانه في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74].

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته**»، قال: فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسِب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**والرجل في مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**».

وأخرج الإمام الترمذي عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي**».

هذه الخطبة الثالثة عشرة في سلسلة خطب عنوانها: (**الحياة الأسرية**)، تتحدث عن أهمية الأسرة وقِيَمِها وطريقةِ بنائها في الإسلام وحقوق وواجبات أفرادها وخطط أعداء الإنسان في هدمها وطرق حمايتها.

عنوان خطبة اليوم: **واجبات الزوجين**

**أيها الإخوة:**

تعمّدتُ أنْ يكون عنوان الخطبة واجبات الزوجين ولم أذكر في العنوان حقوقهما؛ لأنّ العلاقة بين الحق والواجب علاقةُ تلازمٍ، وما هو واجبٌ على أحد الزوجين هو حقٌّ للآخر، وما هو حقٌّ له هو واجبٌ على ذلك الآخر.

ولأن الإسلامَ يربي أتباعَه على البحث عن واجباتهم ليلتزموها، ويخاطبُ كلاً منهم ويجعلُه مسؤولاً، ويسميه (المكلَّف) بمعنى أنه المتحمل للمسؤولية، ويطالبُه أن يتعلم واجباته ومسؤولياته ويعملَ بها ويعطي الحق من نفسه.

فالقاعدةُ الرئيسةُ في الإسلام الواجباتُ، بينما القاعدةُ الرئيسةُ في الأنظمة الأخرى الحقوقُ.

وإنَّ النكسةَ كبيرةٌ جداً في نقل الاهتمام للمطالبة بالحقوق بدل الاشتغال بأداء الواجبات؛ لأنَّ الذي يشتغل بطلب الحق يستريح، والذي يشتغل بأداء الواجب في نَصَب لا يستريح، وحين نؤدي الواجب نضمن وصول الحق لصاحبه.

يقول أحد الباحثين: (ينبغي ألا يغيب عن نظرنا أنّ (الواجب) يجب أن يتفوّقَ على (الحق) في كل تطورٍ صاعد... وإنَّ كلَّ سياسةٍ تقوم على طلب (الحقوق) ليست إلا ضرباً من الهرج والفوضى، أو هي (يد) تطيل عمر الحياة الأميبية للناس).

وبناء على ما سبق فسيكون الحديث في هذه الخطبة عن واجبات ومسؤوليات كل من الزوجين، فإذا التزم الطرف واجبه نال الطرف الآخر حقه، وهذه الخطبة مهمة جداً لكل شاب مقبل على الزواج أو فتاة يقرع بابها الخاطبون، أن يعرف كلٌّ منهما واجباته ومسؤولياته ليؤدي ما عليه وتعيشَ الأسرة في خير عميم.

تتحدَّد مسؤولية الزوج بأمرين ومسؤولية الزوجة بأمرين والمسؤوليات المشتركة بينهما بأمرين.

أما مسؤوليتا الزوج ومسؤوليتا الزوجة فقد حدَّدهما قول الله تعالى في الآية الرابعة والثلاثين من سورة النساء حين قال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّه. .﴾ [النساء:34].

فمسؤوليتا الزوج كما تقول الآية: القِوامة (أي الإدارة والرعاية)، والنفقة.

ومسؤوليتا الزوجة: طاعة الزوج، وحِفظِ البيت والزوج والأولاد في حضور الزوج وغَيبته.

والمسؤوليات المشتركة بينهما: رعاية الأولاد وتربيتهم التربية الصحيحة، ورعاية كلٍّ منهما صاحبه والعمل على إرضائه وإسعاده، وهي المعاشرة بالمعروف.

أما قِوامة الرجل فهي الإدارة والرعاية والحفظ، ومقتضى الإدارة كما تعلمون الإحاطة والاستيعاب والحلم والعلم والجهد الكبير والخلق العالي، فمن كان من الأزواج أو الشباب المقبلين على الزواج يرى في نفسه سرعةَ الغضب وضيق النفس وشدة النزق أو من يرى في نفسه الكسل والخور وصعوبة الأخلاق فليعلم أنّ الله جعل من واجباته القوامة التي لا تستقيم مع هذه الصفات وأنّ الواجب عليه أن يتحلى بأضدادها.

واسمعوا إلى هذه الحادثة الواقعة بين سيدنا معاوية وعبد الله بن الزبير:

كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما مزرعة في المدينة مجاورة لمزرعة يملكها معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وذات يوم دخل عمال مزرعة معاوية إلى مزرعة ابن الزبير، فغضب ابن الزبير وكتب لمعاوية في دمشق وقد كان بينهما عداوة:

(من عبد الله بن الزبير إلى معاوية بن هند آكلة الأكباد، أما بعد... فإن عمالك دخلوا مزرعتي فمرهم بالخروج منها أو فالذي لا إله إلا هو ليكونن لي معك شأن).

فوصلت الرسالة لمعاوية وكان من أحلم الناس، فكتب إليه:

(من معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن الزبير ابن أسماء ذات النطاقين، أما بعد، فوالله لو كانت الدنيا بيني وبينك لسلمتها إليك، ولو كانت مزرعتي من المدينة إلى دمشق لدفعتها إليك، فإذا وصلك كتابي هذا فخذ مزرعتي إلى مزرعتك وعمالي إلى عمالك).

فلما قرأ ابن الزبير الرسالة بكى حتى بلَّها بالدموع، وسافر إلى معاوية في دمشق وقبَّل رأسه وقال له: لا أعدمك الله حلماً أحلك في قريش هذا المحل.

ترى هل يستطيع الزوج أو الشاب المقبل على الزواج أن تكون سعة صدره وعظيم حلمه بهذا المستوى ليحيط بأفراد أسرته وتصح بذلك قِوامته.

وأما النفقة فهي من واجبات الزوج أيضاً ومسؤولياته، وتشمل الطعام والشراب واللباس والسكن والتطبيب بالمعروف والخادم لمن لزوجته في بيت أهلها خادم، وهو معان عليها من حضرة الله تعالى، فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**».

ومهما أنفق الرجل على أهله نفقةً يحتسبها عند الله كانت له صدقة.

وأما الطاعة فهي من واجبات الزوجة إذ تطيع زوجها بالمعروف، وعلى الطاعة يقوم نظام الحياة الناجحة فالطالب يطيع معلمه في المدرسة، والجندي يطيع رئيسه في الجندية، والموظف يطيع مديره في الدائرة، والمضيف يطيع قائد الطيارة، والبحار يطيع ربان السفينة، وكل عاقل مرؤوس يطيع رئيسه، ومثلُ هؤلاء الزوجة الصالحة العاقلة تطيع زوجها بالمعروف، فتقوى الأسرة ويشتد بناؤها، ولها بهذا الأجر الكبير والثواب العميم، ففي مسند الإمام أحمد وغيره عن عبد الرحمن بن عوف، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**».

ومن لم تكن من بناتنا متدربة على طاعة الزوج لرعونة في نفسها أو صعوبة في طباعها أو اعتداد بشخصها ورأيها؛ فلتجاهد نفسها بطاعة زوجها. فإن هذا من واجباتها.

وأما حفظ الزوج والبيت والأولاد في حضرة الزوج وغيبته فهو الواجب الثاني على الزوجة، فالمرأة مؤتمنة على مال زوجها وبيته وولده، لا تُدخل البيتَ إلى من رضي زوجها ولا تُخْرِج من البيت إلا ما أذن به ولا تدعو أولادها إلا إلى ما يرضاه من الخير.

ومن هنا وجب على بناتنا وزوجاتنا التدرب على رعاية البيوت والأولاد والأزواج لتكون الواحدة منهن حافظة للغيب بما حفظ الله مؤدية حق ربها وحق زوجها.

وأما المسؤوليتان المشتركتان بين الزوجين فرعاية كل منهما لصاحبه وقيامهما معا بتربية الأولاد كلٌّ حسْب دوره، وخيرهما خيرهما لزوجه وولده، وأفضلهما أفضلهما لصاحبه.

**أيها الإخوة:**

مسؤوليتان للزوج القوامة والنفقة ومسؤوليتان للزوجة الطاعة والحفظ ومسؤوليتان لهما معا رعاية الأولاد ورعاية كل منهما لصاحبه.

والملاحظ تكامل مسؤوليات الزوجين في الأسرة، فمسؤولياتهم متكاملة وليست متساوية؛ ذلك لأنهما مختلفان، ومن الظلم المساواة بين المختلفين، والتفريق بين المتماثلين.

ومن هنا تخطئ أصوات دولية ومحلية تريد أن تؤسس لمساواة كاملة بين الرجل والمرأة؛ سواء داخل الأسرة أو خارجها في الحقوق والواجبات والمسؤوليات والامتيازات.

**وختاماً**: اذكروا أنّ الزواج عبادة، وأن الحفاظ على الأسرة دين، وأن دعم الأسر القائمة والقادمة صدقة جارية.

(من مراجع الخطبة: الدورة التأهيلية للحياة الزوجية الطبعة الثانية)

والحمد لله رب العالمين